اسم المادة: فصل في الآداب الباطنة للحج ٢

من سلسلة: مختصر منهاج القاصدين

لفضيلة الشيخ: محمد حسين يعقوب

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: فصل في الآداب الباطنة للحج ٢
من سلسلة: مختصر منهاج القاصدين
لفضيلة الشيخ: محمد حسين يعقوب
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-1869.htm

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله أحمده –تعالى– وأستعينه وأستغفره وأعوذ بالله –تعالى– من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" آل عمران:١٠٢، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً" النساء:١، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً" الأحزاب ٧٠:٧١.

أما بعد

فإن أصدق الحديث كلام الله –تعالى–، وإن خير الهدي هدي محمدٍ –صلى الله عليه وسلم–، وإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد:

فإخوتي في الله إني أحبكم في الله، وأسأل الله –جل جلاله– أن يجمعنا بهذا الحب في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، اللهم اجعل عملنا كله صالحًا واجعله لوجهك خالصًا ولا تجعل فيه لأحدٍ غيرك شيئًا.

من مدرسة الربانية أحييكم

وهذا فرع التزكية واللقاء التاسع عشر من كتاب مختصر منهاج القاصدين وفيه الكلام عن أسرار الحج، وكنا قد توقفنا في اللقاء الماضي عند قول الشيخ: "ومن ذلك أنه إذا رأى البيت الحرام استحضر عظمته في قلبه، وشكر الله –تعالى– على تبليغه رتبة الوافدين إليه، وليستشعر عظمة الطواف به فإنه صلاة، ويعتقد عند استلام الحجر أنه مبايع لله على طاعته، ويضم إلى ذلك عزيمته على الوفاء بالبيعة".

وقفنا عند هذا الحد، وأيها الأخوة أنا أعتبر وأعتقد أن وجود الكعبة بيننا من أعظم نعم الله علينا، نعمة عظيمة جدًا إلى أبعد حد وجود الكعبة "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً" البقرة:١٢٥

استشعار هذا التعظيم؛ بيت الله. قال –سبحانه وتعالى– موحيًا إلى إبراهيم وإسماعيل "أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ" البقرة١٢٥، بيتي، سبحان الله العظيم، فالشاهد؛ تعظيم هذا البيت، واستشعار عظمة الطواف، وتعظيم أمر الحجر، شيء من الجنة يمين الله في الأرض. "وليتذكر بالتعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم لجُأ المذنب إلى سيده، وقرب المحب". لجُأ المذنب إلى سيده.

حين يطوف الإنسان يأتي إلى بيت ربه، وكما قلت لك أن في معنى لبيك اللهم لبيك أي أتيتك أتيتك، جئتك جئتك، أتيتك، جيتلك يا رب جيت ليك، جيتلك بيتك، فقربه من البيت أو إتيان البيت؛ قضية الإتيان، إتيان مجرد إتيان البيت، عودة العبد الآبق مستسلمًا مختارًا إلى سيده، جيتلك يا سيدي، رجعتلك، أنا غلطان، أنا اللي كنت هربان، أنا اللي كنت تايه وضايع جيتلك، بحبك وعايزك ومليش غيرك، أروح لمين؟ أنت بابي ومقصدي.

هي دي؛ استشعار لما تيجي بيت ربنا عودة، اسمها يا بني توبة، عارف تاب يعني إيه؟ يعني عاد ورجع. رجع منين؟ كان في طريق الشيطان ورجع، فلما رجع؛ رجع فين؟ ورجع لمين؟ رجع لسيده، رجع لربنا.

لما يلتزم بقى أو يقف يلتصق بالملتزم، لما يلتصق ركبه وبطنه وصدره ووجهه لازقين تحت باب الكعبة، لازق ترفع راسك كده يدوب أطول واحد يبص من تحت عقب الباب، ياااه على الوقفة دي، على الوضع ده، استشعار قرب المحب وقوفه عند بيت حبيبه، قرب المحب وعودته وأنسه، حتى أنه يكون حريصًا على أن كل ذرة في جسمه تمس بيت سيده، تشعر بهذه القشعريرة في القرب من بيت سيده.

أنشد بعضهم في ذلك:

ستور بيتك نيل الأمن منك وقد ... علقتها مستجيرا أيها الباري

وما أظنك لما أن علقت بها ... خوفا من النار تنجيني من النار

وها أنا جار بيت أنت قلت لنا ... حجوا إليه وقد أوصيت بالجار

"ومن ذلك إذا سعى بين الصفا والمروة ينبغي أن يمثلها بكفتي الميزان، وتردده بينهما في عرصات القيامة، أو تردد العبد إلى باب دار الملك، إظهارًا لخلوص الخدمة، ورجاء الملاحظة بعين رحمته، وطمعًا في قضاء حاجته".

لما الإنسان يبدأ من الصفا ويروح للمروة، ويرجع الصفا تاني، ويروح المروة ويرجع ع الصفا، ويروح المروة ويرجع الصفا ويروح المروة، يتذكر كفتي الميزان يوم القيامة ما هي كتب، يوم القيامة أعمالك سجلات، كل سجل مد البصر، كتب دفاتر، والميزان كفتين ولسان، الرسول قال لنا كده. فيجي كتاب إيه ده؟ حسنات، حطه في ميزان الحسنات، تطب الحسنات ويجي كتاب تاني إيه ده؟ سيئات، حطه في ميزان السيئات تطب السيئات وبعدين التاني سيئات برضه، حط طب السيئات إيه تاني؟ حسنات، فهكذا الإنسان يبقى قاعد يبص للحسنات ويبص للسيئات، يبص حسنات ويبص للسيئات، –سبحان الله العظيم– وقلبه بيتأرجح كده بين الحسنات والسيئات، هي دي رايح وجاي تذكر ميزان الحسنات؛ كفة الحسنات وكفة السيئات، أو تذكر بذهابك إلى المروة وعودتك إلى الصفا، ترددك على باب الملك، ربنا بيحب كده إن الله يحب الملحين في الدعاء، إنك تجيله على طول علشان كده ربنا قال: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ" البقرة:٢٢٢ مش التائبين، توَّاب كثرة التوبة على طول يجي لربنا ويرجع، ويجي تاني ويرجع، ويجي تاني ويرجع، ويجي تاني ويرجع، فيتذكر المرواح والرجوع ده بكثرة تردده على الله.

"أما الوقوف بعرفة؛ فاذكر بما ترى فيه من ازدحام الخلق، وارتفاع أصواتهم، واختلاف لغاتهم، موقف القيامة واجتماع الأمم في ذلك الموطن واستشفاعهم، فإذا رميت الجمار فاقصد بذلك الانقياد للأمر".

في الوقوف بعرفة؛ اذكر ازدحام الخلق، حين ترى الخلق والناس والكثرة، –سبحان الله العظيم– في حج هذا العام وصلنا متأخرين، قدر الله –عز وجل– قبيل الظهر، الواحد مفروض يسكت عن ذكرياته دي أحسن –سبحان الله– كنا رايحين في أتوبيس مكيف، وناس مرتاحين وطالعين من الفندق ملمعين بقى، لا إحنا كنا راجعين من منى من يوم التروية يعني، الشاهد؛ فرأيت الناس الذين يمشون –سبحان الله العظيم– أمم اللي ماشيين رايحين لعرفة من منى لعرفة مشي على رجليهم، فقلت للناس اللي معايا قلت لهم –سبحان الله– هي دي الناس اللي بتحج، الناس اللي ماشية دي مش اللي قاعدين في أتوبيسات مكيفة، فتعطل الأتوبيس، ونزلنا مشينا إي والله حصل كده، ضل وتاه وبعدين وقف ومُنع من الرجوع انزلوا يلا نزلونا ومشينا، سبحان الله العظيم لما تمشي في هؤلاء الكم الرهيب عارفين إيه اللي خطر في بالي؟ سبحان الله العظيم قلت يعني مين بقى في وسط العالم دا كله إنت مين؟ مين محمد حسين يعني؟ مين؟ في وسط الأمة دي كلها اللي بتقول يا رب، أنت تطلع إيه؟ تساوي إيه؟ غاية من الحقارة، احتقار النفس بقى وازدرائها ووضعها في موضعها الصحيح، شايف الناس؛ تبص على يمينك ملايين فعلا ملايين، يعني همه بيقولوا تلاته مليون الوضع رهيب يذكرك بقى بيوم الحشر هتعمل إيه؟ هتروح فين؟

"يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ" القيامة: ١٠ كَلَّا كلا مفيش هتروح فين؟ كله في اتجاه واحد "إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ" القيامة: ١٢

"فإذا رميت الجمار فاقصد بذلك الانقياد للأمر، وإظهار الرق والعبودية، ومجرد الامتثال من غير حظ للنفس".

وأنت بترمي الجمار أنت مش فاهم العلة، إنك تجمع سبع جمرات وترمي، الله أكبر الله أكبر بترمي الجمار، بترميها حصى صغير تخبط بيه عمود مبني من الطوب. إيه السر وإيه العلة في كده؟ أنت مانتاش عارف، فمجرد امتثال الأمر، حاضر، الرسول قالك اعمل كده؟ تسمع الكلام ليه؟ معرفش، بس هو قال كده خلاص يبقى كده. مجرد الانقياد للأمر وإظهار الرق والعبودية ومجرد الامتثال من غير حظ للنفس.

"أما المدينة؛ اللهم ارزقنا وفاة ودفنًا في مدينة حبيبك محمد –صلى الله عليه وسلم–، فإذا لاحت لك فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم–، وشرع إليها هجرته، وجعل فيها بيته، ثم مثِّل في نفسك مواضع أقدام رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– عند تردده فيها، تصور خشوعه وسكينته –صلى الله عليه وسلم–".

والله الواحد بيتذكر هذا الأمر أكثر وهو يطوف بالكعبة، فعلًا يخطر ببالي مواضع أقدام النبي –صلى الله عليه وسلم–. أتذكر قصة خباب بن الأرت يقول أتيت النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– وهو متوسد بردة ينام في ظل الكعبة، الرسول كان نايم هنا في الحتة دي، وخباب بن الأرت بيقوله الواحد يتذكر عن الحجر لما عبد الله بن مسعود قرالهم سورة الرحمن وقوم يصفقون ويصفرون حوله وضع الكعبة، وأيضًا في المدينة نفس الشيء أيضًا في مدينة الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم–.

يتصور الإنسان مكان النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– وذهابه ومجيئه ومحياته في هذا المكان –صلى الله عليه وآله وسلم–.

"فإذا قصدت زيارة القبر، وبالطبع لا تشد الرحال إلى قبر الرسول –صلى الله عليه وسلم–، لكن لوجودك في المدينة تزور قبر الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم–، لأن الرحال تشد إلى مسجد الرسول لا إلى قبر الرسول، ومن مآسي العوام؛ اللي مفروض تصلحها أنت عند أبوك عند أمك عند جدك عند جدتك عند قرايبك اللي بيروحوا يحجوا، إن وهو رايح يحج أو رايح يعتمر يقولك إحنا رايحين للنبي –صلى الله عليه وآله وسلم–، لأ لازم أصلح له الحتة دي، أنت رايح تحج أو رايح العمرة مش رايح للنبي –صلى الله عليه وسلم–، أنت رايح لربنا –سبحانه وتعالى– بيت الله –جل جلاله–.

يقول الشيخ: "فإذا قصدت زيارة القبر، فأحضر قلبك لتعظيمه –صلى الله عليه وسلم–، والهيبة له، ومثل صورته الكريمة في خيالك، واستحضر عظيم مرتبته في قلبك، ثم سلم عليه" –صلى الله عليه وآله وسلم–

فعلا الواحد وهو واقف قدام القبر، والرسول هنا، نايم هنا، والقضية لما تروح القبر أيضًا من جهة الروضة، مش من الجهة اللي الناس كلها ماشية بتسلم منها وخارجين من الباب دي اللي فيها الأبواب المزينة الصفراء، لأ من الجهة التانية بقى من الروضة، ولما تشوف من الباب الأخضر ده، وتبقى شايف جوه التلات قبور؛ قبر الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وجنبه أبو بكر، وجنبه عمر، فتتأمل كده الرسول هنا – صلى الله عليه وسلم–، في التراب –صلى الله عليه وآله وسلم–، مات –صلى الله عليه وسلم–، قلت مرة لأن الرسول كان عارف إنه هيموت ويدفن لأجل ذلك لم يتكبر على أحد، لأن دي آخرة البشر، أن يدفنوا في التراب. ظل يعيشها عبدًا، ليكون في الجنة في أعلى عليين –صلى الله عليه وآله وسلم–.

استحضر صورته الكريمة في خيالك –صلى الله عليه وسلم–، وتأمل وجودك بين يديه. لذلك العلماء قالوا: أنه لا يجوز رفع الصوت في مسجد الرسول، لأن حرمته ميتًا كحرمته حيًا. وقد قال الله "لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ" الحجرات٢:٣. فينبغي هناك أن تغض صوتك، وتقف بمنتهى التوقير، واستحضار أنك تقف بين يدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فتسلم عليه، السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا خليل الله، السلام عليك يا سيد ولد آدم، السلام عليك يا خير خلق الله، السلام عليك، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وكشف الله بك الغمة، وجاهدت في سبيل الله حق جهاده حتى آتاك اليقين. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد.

ثم تنتقل وتسلم على أبي بكر ثم تنتقل خطوة وتسلم على عمر –رضي الله عنهما–.

بكده يبقى انتهى موضوع الحج، وزيارة مسجد الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وزيارة القبر. وننتقل إلى كتاب آداب القرآن في اللقاء القادم إن شاء الله

أحبكم في الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته